شعرية السرد عند طالب الحيدري لديوان (المرايا) انموذجا

م. د. شيماء عادل جعفر

جامعة الفراهيدي - كلية التربية

مستخلص

نزع الشعر الحديث الى السرد لكونه عنصرا فعالا في انفتاح النص ورفده بطاقات دلالية وشعورية وفكرية، تجعله متحركا نحو افاق ورؤى جديدة.

يهدف البحث من خلال منهج وصفي تحليلي بالوقوف الى تمحيص شعرية السرد في ديوان (مرايا) للشاعر العراقي الكبير طالب الحيدري وابراز اثر هذه الشعرية في تحقيق العمق الفني للبؤرة الدلالية من خلال تسليط الضوء على مجموعته الشعرية التي تعد من العناصر التي تشكلت ببنية النص وذلك عبر تجلياتها السردية المتمثلة بـــ (الشخصية، والزمان، والمكان)

Abstract

Removing modern poetry in to narratine as an effectin element in the openness of the text and the provision of daled cars and feeliss and thought to move towards new horizons and visions. The research aims thought adescriptive analytical approach to find out the scrnting of the narrative poetry in the Iraqi poet Talib AL- Haidari and to highlight the impact of this poetry in achieving the artistic depth of the point of focus by highlightins asset of elements formed by the structure of the text , personality , time and space .

المقدمة

تعد الدراسات النقدية المعاصرة الشعرية فاعلية اللغة واكتناه النص بكل مكوناته اللغوية والصوتية والدلالية فهي التي تميز بين الشعر واللاشعر وبين العمل الابداعي الجمالي وبين غيره من الاعمال ولان النص الادبي هو نسيج من العلاقات المعقدة من حيث المجالات اللغوية والصوتية والدلالية فهو موضوع عناية الشعر بكل معناها ويعد مجالا واسعا من الدلالات والاشارات اللغوية والصور الفنية والايقاعات الموسيقية وهذه الطاقات الفنية في النص تدل على الشعرية وحظي موضوع الشعرية باهتمام كبير من قبل الدارسين و النقاد العرب وقد اختلف في تسميتها باعتبارها كلمة يونانية الأصل، وهي مرتبطة بالفن الشعري و بذلك فهي نظرية معرفية مرتبطة بفنية العمل الشعري و جمالياته، وتظهر هذه الشعرية من خلال الصورة الفنية، فهناك من النقاد العرب المحدثين من سماها "الإنشائية" أو "الشاعرية" أمثال عبد الله الغذامي، ومن أطلق عليها "الشعرية" أمثال محمد الولي والمسدي. بينما تسمى عند جابر عصفور بعلم الأدب، وعند جميل نصيف "العمل الإبداعي". كما وصفت عند آخرون بـــ "فن الشعر"[١]. ولا تتوقف عند زاوية معينة من زوايا النص بل تتناول كل الزوايا الممكنة، فدراسة شعرية السرد تعني التركيز المباشر على مجموع الخصائص والسمات الجمالية التي جعلت السرد يرتقي الى مستوى الادبية، وهي تنسب غالبا الى تودوروف الذي أسسها انطلاقا من الألسنة البنيوية.

يعد السرد من اقدم اشكال التعبير الانساني على وجه الاطلاق وذلك لانه يرتبط بعملية التفاعل الانساني منذ بدء اللغة كمفهوم اشاري في مهد الحضارة الانسانية، اذ نجده في اللغة المكتوبة وفي اللغة الشفوية كما نجده في لغة الاشارات والايحاء في الرسم والتاريخ وهو بذلك عام ومتعدد ومتنوع القوانين الداخلية للأجناس الادبية وكذلك استخراج النظم التي تحكمها والقواعد التي من خلالها توجه بنيتها وتحدد سماتها وخصائصها[٢]. أي أنّ السردية هي الفرع والشعرية هي الاصل التي تدرس العلاقات الداخلية للأجناس الأدبية والقوانين التي تنظمها، اذ أنّ السرد مصطلح عابر للانواع الادبية وغير الادبية، فالتأريخ يعتمد على سرد الاحداث، والعلوم الانسانية تعتمد على تحليل الظواهر الانسانية عن طرائق السرد وغيرها من العلوم المدونة التي تتخذ من السرد وسيلة للتدوين واثبات الذات.

الشاعر طالب الحيدري في سطور

ولد الشاعر طالب الحيدري في مدينة الكاظمية يوم ١٩٢٨/٥/٣ المصادف سنة ١٣٤٦هـ نشأ في عائلة دينية عائلة علم واجتهاد وجهاد. بدأ الشاعر بكتابة الشعر في العاشرة من عمره لانه كان يعيش في اجواء حافلة بالمناسبات الدينية والوطنية حضر دروسا خصوصية عند الشاعر الدكتور محمد مهدي البصير والدكتور مصطفى جواد في اللغة والادب والشعر.

اطلع الشاعر على كنوز الادب الفرنسي وترجموا له العديد من الشعر الفرنسي، مما شجع الشاعر على قراءة الشعر في مختلف مدارسه وقد سبر الشاعر غور دواوين الشعر بمختلف العصور العربية واطلع على ما كتبه شعراء المهجر وجماعة ابولو وجماعة الديوان.

درس الابتدائية في مدرسة الكاظمية الابتدائية اكمل الاول والثاني الثانوي بعدها انتقل الى الحوزات العلمية في الكاظمية والنجف، درس في كلية منتدى النشر قُبل في كلية الاداب جامعة القاهرة ولكنه منع من السفر من قبل الامن وكان ذلك ايام العهد الملكي، اتجه بعد ذلك الى الدراسة العلمية في الحوزات العراقية.

تزوج الشاعر سنة ١٩٧٠ وله اولاد محمد وعلي وفاطمة. واشتغل بالتجارة الى سنة ١٩٨٠، سافر الى انكلترا وايران وسوريا والاردن والسعودية، وفي سنة ٢٠١١ اقامت وزارة الثقافة العراقية حفلا تكريميا للشاعر شارك فيه عددا من اساتيذ الجامعات العراقية.

شارك الشاعر في العديد من الحفلات الشعرية ومنها حفل تأبين كامل الجادرجي وحفل تأبين الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيب وحفل تأبين رفائيل بطي صاحب جريدة البلاد. ومن بين الذين كتبوا عنه: الدكتور طه حسين عميد الادب العربي وبشارة الخوري (الاخطل الصغير) والشيخ محمد رضا الشبيبي ومارون عبود والدكتور جورج حنا والدكتور محمد مهدي البصير والدكتور مصطفى جواد والشيخ محمد بهجت الاثري والشيخ جلال الحنفي والدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور يوسف عز الدين والدكتور داود سلوم.

صدرت له مجموعته الشعرية الاولى (الوان شتى) ١٩٤٩ ببيروت وفي سنة ١٩٥٠ صدرت له ترجمته الشعرية لرباعيات عمر الخيام في طبعتها الاولى، وفي سنة ١٩٥١ صدرت (رباعيات الحيدري) وفي سنة ١٩٥٨ صدر له ديوانه (نضال) وفيه عدد من القصائد الوطنية الثائرة، وفي سنة ١٩٩٨ صدرت قصيدته الوجدانية المطولة (معلقة العشق) وفي سنة ٢٠٠٨ صدر ديوانه (الالواح) احتفاء بعيد ميلاده الثمانين، وفي سنتي ٢٠٠٨- ٢٠٠٩ صدرت سلسلته

الشعرية (من وحي ال الوحي) في اربعة اجزاء: ملحمة كربلاء، الحيدريات، الباقيات الصالحات، والحجازيات. وفي سنة ٢٠١١ صدر له ديوانه (شموع الدموع) وكذلك ديوان المرايا والرحلة في السنة نفسها. يعكف الشاعر على اعداد عدد من الدواوين تقع في مجلدات ضخمة لطبعها ونشرها.[٣]

الشخصية

تعد الشخصية ركنا مهما من اركان العمل السردي، وواحدة من عناصره الاساس تتجلى عبر افعالها الاحداث، وتتضح الافكار وتتحلق من خلال شبكة علاقاتها التي تكون مادة العمل.

فأنّ تشكيل نسيج السرد واتصال حلقاته معقودة الى درجة كبيرة بما يميز شخصياته من نشاط وما ينم عنها من افعال وحوارات تتباين محمولاتها واختلاف مواقفها ومستوياتها، معبرة بذلك عن تباين العمل السردي وتعدد مستوياته، وعدم خضوعه لمقولات أو حقائق تعجز عنها الشخصية ان تنمي حدثا او تدير صراعا او تنشئ حوارا وهي تقيم جدل علاقاتها مع سواها من الشخصيات، مع عناصر العمل السردي.

اولى الكتاب والدارسون اهمية قصوى للشخصية نظرا للمقام الذي تشغله في عملية السرد، وبناء النص الادبي فهي رمز للأفكار والآراء ووجهات نظر الكاتب فعبرها يجسد دلالات ومعاني يتلقاها القارئ بصورة غير المباشرة، ولهذا تعد الوعاء الذي يصب فيه الكاتب افكاره وهي بدورها تصورها وتقوم بها. اذ تعد عنصرا فعالا ومتفاعلا من العمل الادبي كونها كائنا انسانيا يتداخل داخل النص الشعري، ويقوم بالاحداث السردية المتوالية تواليا متناميا في مجرى الحكي.

لا يمكن ان تتصور اي عمل سردي دون حضور المكون السردي، لما لها من تأثير كبير على القارئ اذ تعد ((مدار المعاني الانسانية ومحور الافكار والاراء العامة، وعليه فان تشكيل نسيج السرد واتصال حلقاته يتصل اتصالا كبيرا بما يميز شخصياته من النشاط، وما ينم عنها من افعال وحوارات تتباين بتباين دلالاتها واختلاف مواقفها ومستوياتها))[٤] فلا يوجد سرد من دون شخصية متفاعلة مع عناصر السرد الاخرى لتشكيل نص شعري يستمد جماله وقيمه الفنية وقوة التأثير الفعال من شخصياته وكل ما يمتلكه من ابعاد نفسية وفكرية واجتماعية، فضلا عن ملامحها العاطفية وكل ما تعكسه من تصورات وتجارب وقيم[٥].

ومن الشخصيات الفاعلة في ديوان ((المرايا)) للشاعر طالب الحيري هي ضمير المتكلم فيقول في قصيدته

((امشي مع نفسي))[٦]:

مالي اتحرق وانفعل من اجل حطام ينتقل

مالي اتهاوى في بحر من مأساة لا ترتحل

مالي اتحمل في قلبي هم الايام واشتعل

مالي لا اضحك للدنيا لا العب فالدنيا امل

الشاعر يستخدم ضمير المتكلم من اجل التعبير عن حالته النفسية وما وصل اليها من حالة اليأس، فنجد ظهور شخصية السارد الذي هو محرك السرد النصي ودورها في الوصف السردي في حركية السرد وعتاب النفس ولومها لما وصل اليه من حالة الحزن واليأس ويخبر رفاقه الاموات انه اوشك للوصول اليهم والرحيل من هذه الدنيا.

وفي قصيدة ((الملهاة)) يخاطب الشاعر عمره الذي راح هدرا مستاء من الحياة التي يعيشها فيقول لزورق العمر مخاطبا اياه[٧].

يا زورق العمر والابحار اتعبنا هلا توخيت للارساء مرساتا

حتى متى و فلول الموج تطلمنا محلية شملنا المجموع اشتاتا

يعدنا الناس احياء وواقعنا انا نعيش مع الاحياء امواتا

تزداد اوقاتنا جريا لغايتها ونحن ننقص اعمارا واوقاتا

يجعل الشاعر في هذه القصيدة من الزورق شخصا يخاطبه وابراز ما يتعرض له من مواقف وحوادث فالزورق هو المحور الرئيس الذي تدور حوله الاحداث، فهو ثائر يطلب شيئا افتقده، وينتقل الشاعر مع الزورق من مكان لاخر قلقا لا يكاد يستقر. ويمضي في السرد مع هذه الشخصية اذ اخذ الحزن منه مأخذه واثر فيه، فهو يطلبه وهو يريد الحياة والعيش الرغيد ويعيش حلما مستقبليا يتجسد في امالها واحلامها التي ينتمى ان تتحقق، فالزورق جاء عرضا لمساعدة الشاعر في التعبير عن احزانه كونها جلبت هذه الشخصية لتطوير الحدث القصصي ويشير الى انشغال ذهنه بالبحث عن حل لمشكلة مصيره بالبحث عن اداة تصلح لمواجهة الدهر وتكفل بقاء الانسان.

وفي قصيدة ((البحيرة)) يسمح الشاعر لشخصياته التناوب واخذ الكلمة ويكون عن طريق الحوار فيقول[٨]:-

غرست بذوري في ترابي وليس لي ... ولكن كل الناس ما انا غارس
غدا عندما تبدو لهم اريحيتي ... ويصبح قبري عبرة وهو دارس
يقولون: ان ولى الربيع فطيبه ... مقيم على طول الهوى متهامس
اضعت حياتي والنوادي ستلتقي ... عليها تساقيها الهوى والمدارس
بحيرة ابداع وبذل ورحمة ... ثرت الحبارى فوقها والنوارس

يقيم الشاعر عمله حول شخصية فاعلة تحمل الفكرة والمضمون، ويعزز موقفه والشاعر عاش في بيئة تعشق الحرية فكرا ومنهجا واصفا نفسه بالشجاعة وشدة البأس والتفرد وقلة المؤونة وتحمل المشاق اذ عاش الشاعر احوال القهر والظلم والاستبداد فيبدو مشاركا رئيسا في الاحداث يعكس ما املته عليه الظروف ويرى نفسه عارفا عالما بالصور المختلفة من الجوع والخوف والصمت، فعاش الشاعر هذه المحن ويتحدث عنها كما عاشها، بذلك يريد اعطاء صورة واضحة عما حدث من زاوية رؤيته، فأتجه سرده للحديث الى ضمير المتكلم وضمير المخاطب، بحيث يضفي ضمير المتكلم على النص دقة التعبير والكشف عن رؤيا العمل، ويكون الشاعر غارقا فيما يروي ما يعانيه ويعكس التجربة التي يعيشها ويخوضها بضمير المتكلم، فهو مشارك في الاحداث من خلال استخدامه للأفعال ((غرست، اضعت)) مما يبين دخول الشاعر للأحداث ويعزز الرؤية الشعرية ويثريها، لأنه هو من يقوم بالأحداث ويؤثر ويتأثر فيها ويقدم ضمير المتكلم دورا حيويا في دعم النسيج السردي المتكامل ويكشف عن العوامل النفسية والداخلية مما يجعل العمل السردي اقرب الى الواقع ويجعل الشخصية تنطق بمكنوناتها الداخلية.

وفي قصيدة ((صاحب)) يجعل الشاعر صاحبه هو الشخصية الفاعلة والرئيسة في القصيدة مخاطبا اياه ذاكرا كل مزاياه الحسنة التي تتحكم بأحداث القصيدة كلها فيقول[٩]:-

ولي صاحب معروفه ليس ينتهي ... مسلم الطوايا صادق في نواياه
على الخير مطبوع بجود نفسه ... ويبذل لي فوق الذي اتمناه
واقسم اني قد وجدت به اخا ... وليت اخي يسعى لاجلي مسعاه
يحركه حسن المروءة والذي ... يدفعه للخير اجر توخاه
كأن له علما بكل حوائجي ... قضاها قضى عنه حوائجه الله

خدوم ذليل النفس حتى كانه اجير له اجر وهذا هو الجاه

يطغى ضمير الغائب ((هو)) على مجريات الاحداث، فيقدم الشاعر سرده بطريقة مباشرة تظهر فيها الشخصية بينما ينأى الشاعر بنفسه قليلا عن التأثير في مجريات الاحداث، فهو يقدم الشخصية بضمير الغائب، وهذا ما يفصل بينه وبين شخصيته، فالشاعر يسرد حال صاحبه بضمير الغائب ((هو)) ناقلا ذلك في صورة ((حكاية)) يحكيها واضعا بينه وبين صاحبه حاجزا اسمه ضمير الغائب ويكتفي بالوصف السردي، وينأى بنفسه قليلا عن الاحداث المدرجة.

يجعل الشاعر من شخصية المعري وصفا لحياته التي يعيش فيها في قصيدة (الطلسم الازلي) فيقول[١٠]: –

عشت في خيمة "المعري" عمري فألفت الخيام و " الخياما"
وتنقلت من صحارى لاخرى ازرع الشوك او اشم الخزامى
وركبت البحار انثر دري وارى كيف اقفها يترامى
وصحبت الامواج تجتاح نفسي وتثير الشكوك والالاما
والرياح الهوجاء تنهب قلبي فيعيش الضباب والاسقاما
والفضاء الوسيع اوسع مما في خيالي وفي خيال الندامى

تمثل شخصية ((المعري)) عند الشاعر تلك الشخصية التي تحمل ابعادا نفسية معقدة، تختزن ما تحمله داخلها من حزن والم وصمت، كاشفا بذلك مفارقة عميقة اخذت وجودها من خلال صورة الضجيج القادم من صحارى الصمت وهذا يشير الى الكبت الذي يعانيه والعجز الذي يحيط به، لانه عاجز عن ايقاف الآمه واحزانه، فاخذت تدمر ذاته شيئا فشيئا حتى تكشف ذلك في جسده، فهو عاجز عن تصديه للالام والاحزان، ولم يجد ملاذا غير الهروب من الواقع والتصدي له.

ويجعل الشاعر من قصيدة ((أما آن)) شخصية الفرد العر اقي هي الشخصية الفاعلة الرئيسة في القصيدة وما يوجه اليه من كلام وما ألم بهذه الشخصية من المعاناة فيقول[١١]:–

اما آن للفرد العراقي ان يرى تباشير فجر للخلاص وللنور
لقد قيدوا شعبا وادوا بموطن بعنوان دعم او بعنوان تحرير
اخذنا بطوفان من الدم عارم وتنور نار بالمواجع مسعور
اذا ما استقرت رجل غاز تواثبت لاذلالنا كالطين يركل في كور

عراق الهوى قد كان سجنا يلمنا ونحن على اكتاف اعتى الاعاصير

وما بين يوم من خداع وليلة رمينا الى اهوال اقسى المقادير

لقد حاول الفرد العراقي اخفاء ما يختلج بصدره من الآم والضغوطات لكن الكبت الذي راود الشاعر اخرجه من دائرة الصمت ودائرة الهروب من الواقع الى دائرة اخرى دارت عليه، واوقعته في شراكها ومن هنا فقد الشاعر توازنه وجعل الاحداث التي تمر بالفرد العراقي تتحكم بعواطفه ومشاعره من خلال تساؤلاته للفرد العراقي والحال الذي هو عليه مبرزا تساؤلات بحاجة الى اجابات حتى تكشف عن الابعاد النفسية وما يعانيه من الظلم والقمع وما يحمل في طياته ألم الماضي وعقدة الحاضر فما قادته الاحداث من حزن ويأس قد نما داخل شخصية الفرد العراقي وكبر معها حتى اورثها العجز على صنع الحاضر، فبقت اسيرة اليأس والكآبة، في غياب المخلص من الواقع المرير، فان اليأس والاحزان سوف تنمو وتكبر حتى تورث الاجيال المتتابعة والعجز والخذلان.

وفي قصيدة ((الطرح الذي لابد منه)) يوجه الشاعر رسالة الى احرار ليبيا وكل الاحرار العرب ويشد من ازرهم ويستنهض بهم الهم فيذكر شخصية عمر المختار ويقول[١٢]:-

بني (عمر المختار) مرحى بكم مرحى بررتم وضحيتم كما هو قد ضحى

بنى وطنا حرا وشيد صرحه فبالدم صونوه كما صانه صرحا

وما هي الا ليلة سوف تنجلي فان لم تزحزح فاصنعوا انتم الصبحا

جرحتم بسكين الخيانة فانسجوا ضمادا من الاكباد شدوا به الجرحا

مسحنا على الايدي التي كلها دم كما كان عيسى يبرا المبتلى مسحا

دعونا لكم بالنصر سارت قلوبنا بريدا اليكم عاجلا يحمل الفتحا

فالشاعر يحمل عمقه الثوري، من خلال تصور ما ألم بشخصية ((عمر المختار)) من احزان تعكس بمجملها الحزن النابع من الهم القومي الذي يشير الى رغبة الانسان العربي في وطنه ومظاهر الظلم الدافعة عليه فالدعوة التي يوجهها الشاعر الى احرار ليبيا وكل الاحرار العرب هي الدعوة التي يرافقها فعل الامر ((فانسجوا ضمادا)) التي تدعو الى شق رتابة الصمت والتي تدعو الى البحث عن بديل اخر، يجد فيه مبتغاه، فهذه دعوة صريحة من الشاعر الى رفض الواقع والعمل على التغيير المنشود، صور الشاعر اعماق الشخصية وما تختزن من الحرقة التي تثير الهم القومي، فكانت هذه الشخصية تمر بانواع الهموم والابتلاءات المرتبطة

بالوطن، حيث الظلم الذي يمارسه الساسة فالشاعر يضم صوته الى صوت الاحرار من خلال استخدامه اسلوب الدعاء بالنصر لهم، موحدا بذلك التجربة والصوت، والاصرار على الخروج من النفق المظلم وتحدي القمع هو دافع الثورة التي حاولت كسر حاجز اليأس للولوج في النصر فالثورة هي المخلص الذي يكفف الاحزان ويمحو الاستبداد ووقود الثورة هم ابناؤها الذين حلموا في احيائها، فشخصية الاحرار التي استخدمها الشاعر جاءت لاضفاء جانب من الثورية حيث تشكل الشخصية نزعة الى الثورة والتغيير وقد ادمجها الشاعر بضمير المتكلم ((مسحنا، دعونا)) لتعبر بعمق عن مدى استيعابها لحمل الهم القومي وقضيته وهي تمثل الافكار والرؤى التي تقوم عليها القصيدة من جانب اخر.

الزمان

تكرست الجهود البحثية في تناولها النقدي والادبي دراسة الزمن في الادب عبر دلالة الحدث سيرورة وانجازه[١٣]. فهو العامل الفعال في الحياة والذي يحمل القدرة على جعل الابيات الشعرية لا تستمر في حالة ثبات بل يحركها باستمرار، فاللحظة الواحدة متحركة الى اللحظة التالية، وكل حركة تحمل معها تغييرا، اذ ان تعامل الشاعر مع الزمن ليس تعاملا فنيا مباشرا بل له تفاعله الفلسفي فيما يخص علاقته بالمحيط الخارجي ومن هنا يلح النقاد على مقولة ان ((الادب هو الفن الزمان))[١٤] لذلك لابد للشاعر ان يحدد زمن الاحداث التي تجري في الابيات الشعرية والحرص على وضوح المراحل الزمنية بين حدث واخر، فالفجوة الزمنية تعد القوة الدرامية التي تدفع بعناصر العمل الفني الى النمو والاكتمال[١٥]، والابيات الشعرية تمثل لحظات زمنية والزمن يشعر به كل انسان او اكثر الناس جملة، ويشعرون بيومه وامسه وغده ويشعر به كل انسان بكل ما مضى منه وما سيأتي في المستقبل القريب او البعيد[١٦]. والزمن بمفهومه الادبي آلية مهمة لها ابعاد وظيفية وجمالية، فهو يشكل اداة فنية في العمق الشعري، يشكل بها الشاعر منجره الشعري الفني، فيجسد مشاعره واحاسيسه ومادته الادبية والشعرية الخام من وحي الزمن، اذا تعد الازمنة وما تحويه من احداث منارة يستلهم منها الشعراء عملهم الشعري، وينعدم الحدث اذا لم يقترن بزمن معين، اذ يتميز بقدرته على نقل الاحداث والاشخاص من حال الى حال واحداث تغيرات كبيرة في بيئة الحدث باستقراء اغلب قصائد الشاعر طالب الحيدري نجد الزمن احيانا يكون محددا اي فترة زمنية معينة مثل يوم وليلة، واحيانا اخرى نجده غير

محدد اي مفتوح لم يقيد بفترة معينة وما يلاحظ على قصائده هو كثرة استعماله للفعل الماضي وهذا ما نجده في قصيدة ((قدر الاقدار)) فيقول[١٦]:

غني لنا وعيون الليل تكلؤنا واطربي كل ذي سمع وذي بصر
جميعنا في انغماس عاكفون على ما بين نهديك من آي من سور
تجسد الحسن والاغواء في جسد من جنة فيه ما نهوى ومن سقر

الزمن هنا محدد بالليل، وقد ورد في نصوص كثيرة نظرا لما يمتلكه ((الليل)) من سحر وجمال، واسترجاع الذكريات برسم لوحة الحرمان في نفسية الشاعر وذاكرته الشعرية ولاسيما ان لونية الحرمان والاحساس بها قد اصبحت شريانا يتدفق في تجربة الحيدري ويغذيها في عملية داخلية تستهدف العودة الى الصفاء الروحي الغرض منها تحقيق معادلة نفسية امام الحب الذي لم يستطع الحصول عليه، وهو امر بلغ محك الاحباط والانغلاق النفسي على الذات، وصولا الى مرحلة العيش في الماضي ومكنوناته الذهنية.

ويقول في قصيدة ((فراشة))[١٧]:-

بدت لعيني باحلى وشاح ملونا بالزهو والانشراح
تغلو وتنحط على مهلها غدوها يعجبني الرواح
زاهية اللون كأن المنى تقيم منها في مطاوي الجناح
بالابتسامات تناغى الضحى بالتحيات تلاقي الصباح
تطير من غصن الى اخر فتبعث النشوة والارتياح
لا تحمل الهم على ظهرها للغد او للامس ولى وراح

يتجلى صوت الشاعر في تدافع الدوال الراسمة لصورة الغضب والحرمان واجواء التغريب الزمني بعد استخدامه للحاضر في رسم مشهد لخلق منولوج داخلي قناعي استخدمه الشاعر لخلق نوع من الايهام الشعري عبر انساق دوال الافعال المضارعة ((تعلو، تنحط، تقيم، تناغى، تلاقي، تطير، تبعث)) اخذ غلى عاتقه سرد الاحداث على نحو متناغم مع ابنية السرد الموضوع في مفارقة للزمن الماضي والحاضر والمستقبل((الامس، الضحى، الغد)) فهي دعوة زمنية حاضرة للتخلص من خيوط الجرح القديم والثورة عليه.

وفي قصيدة ((الشباب)) يتكلم الشاعر عن عمره الذي ضاع منه والزمن الذي يمر دون ان يتخذ منه موعظة وحكمة فيقول[١٨]:-

اذا ذكر الشباب ففي ضلوعي القلب ينقبض
مضى والعين تتبعه وعيش فيه منخفض
ولاح الشيب معترضا كفجر لاح يعترض
لو الايام تفرض شبابا رحت افترض
لقد كان الهوى غرض وهل بعد الهوى غرض

يستحضر الشاعر ذكر شبابه الذي قضي من خلال استخدامه للكلمات التي تدل على الزمان وهي ((الفجر، الايام)) باستخدامه الفعل الماضي ((مضى)) حيث يعود على الفجر والايام وما حصل فيهما من احداث مذكرا ماضيا غارقا بالمآسي والمعاناة وهو يعود الى ذكريات الزمن الماضي اذ كان في ريعان شبابه يستمتع بأوقاته فيتحسر ويحزن على تلك الذكريات باكيا على شبابه وهذا ما ينطبق على شعور الشاعر وتفكيره، لما يمتلكه من احساس مأساوي من الآتي لذا كثيرا ما يرد خوفه مما سيأتي، ولعله تلقى من الزمن المستقبلي نابعا من الواقع بمعنى ان الشاعر لم يكن يتخيل او يدعي التشاؤم بل كان الزمن معاندا معه وربما قوله في قصيدة (البحيرة) ما يدل على حقيقة مخالفة الزمن معه فيقول[١٩]:-

غرست بذوري في ترابي وليس لي ولكن لكل الناس ما انا غارس
غدا عندما تبدو لهم اريحتي ويصبح قبري عبرة وهو دارس
يقولون: ان ولى الربيع فطيبه مقيم على طول المدى متهامس
اضعت حياتي والنوادي ستلتقي عليها تساقيها الهوى والمدارس
بحيرة ابداع وبذل ورحمة ترف الحبارى فوقها والنوارس

الشاعر يعبر عن عدم ثقته بالناس وابتعاد الشباب وتقدم العمر بالانسان سببه الرئيس هو الزمن، هو الوحيد القادر على استلاب الشباب من خلال نقله من حال الى حال ويتضح ذلك لهم بالمستقبل الذي عبر عنه الشاعر ((غدا، الربيع)) ولما سيقع كخاتمه نهائية بوصفها علامة بارزة تتداخل في كسر افق التوقع، لما سيؤول من الاحداث.

وفي قصيدة ((العذاب)) يقول[٢٠]:-

ارى نهاية ايامي واحسبني على مشارف بحر سوف يغرقني
ريح السنين بعات من عواصفها عاثت باشرعتي واستهدفت سفني
مرت بعنف على عمري تمزقه به تطير كأوراق على غصن

ثم يقول [٢١]:-

هنا على طلل الاعوام منتظرا استعرض العمر الماضي فيلهمني

اذا غفوت عن التفكير ثانية تدق ساعات ايامي فتوقظني

ثم يقول[٢٢]:-

لقد تحملت من دنياي من زمني ما لايطاق فهل اخرى تحملني

دع التحدث عن اشياء تجهلها حسبي الذي انا احياه من المحن

طغيان عنصر الزمن الذي يدل على معاناة الشاعر وبروزه كعنصر هام في القصيدة ومن الالفاظ والعبارات التي تدل على الزمن ((ايامي، السنين، الاعوام، ساعات، زمني)) فضلا عن صيغ وافعال تدل على الزمن منها

((ارى، مرت، منتظر، تحملت)) فالزمن في هذه القصيدة فرض على الشاعر اطارا محددا تحكمه قوانين الزمن وتسلسل الاحداث فيه تبعا لوجودها الزمني اي من بداية حياته الى العمر الذي وصل اليه وهو يقول قصيدته فالشاعر يقف مسترجعا ومستذكرا احداثا ماضية عاشها وهو مسؤول عن امور مختلفة كانت تحدث له، دعدته الى ذكر الاشياء التي ازعجته ونالت من راحته، فالزمان كان سببا في ذهاب عمره الذي راح سدا والذي ما انفك الشاعر يذكره بشعره ويتحسر على فقده.

وفي قصيدة(قافلة) يقول[٢٣]:-

ليلي سكير مجنون اضناه واجهده السهد

ونهاري نوم مهزوز ونوارس تيمها الورد

وصراع الحاضر والماضي لغد مجهول يشتد

وصحيفة عمري في حين تبيض واخر تسود

ريح الايام تلاحقني والبرق يداها والرعد

وانا كالصخرة صامدة في سد يحميه سد

ثم يقول[٢٤]:-

ايام حياتي قافلة نحو المجهول بها احدو

العمر دقائق ضائعة كالعقد اذا انفرط العقد

دقات " الساعة" في قلبي دقات اتعبها الجهد

لسعته عقاربها لسعا كالسيف اذا التهب الحد

تسيطر قضية الموت على مخيلة الشاعر ونراه يتمنى الخلود، فهو لا يكتفي بان يجعل الموت موتا محددا يزور فيه الانسان بل يحدد الساعة التي يأتي فيها ايضا، فربما تكون ساعة الموت هي احدى ساعات الليل او النهار، يفاجئ بها الانسان من غير ان يتخذ احتياطاته ويتزود من اعمال الخير استعدادا لمثل هذا اليوم وهذه الساعة اذ اسهم الزمن ((دقائق، ساعة)) في ثراء النص ودلالته لما فيها من سمة تكميلية في عملية السرد الشعري الذي يتجه نحو الموضوعية ضمن ايقاع شعري متزامن، لزمن الحاضر يجمع بين الحياة والموت.

وفي قصيدة ((على جرف الاهوال)) والتي قالها اثر زيارة لصديق اقعدته الآمه وذهبت بصره الايام وانفلت منه حزينا وهو يتمتم[٢٥]:-

غدا نتساوى مثلما صرت صائر وكل حصيد ناضج اوانه

غدا نلتقي "والامس" نصب عيوننا نقلب اشهى ذكريات خوانه

وبعد تلاقينا يفرقنا الردى بايماءة حمراء من صولجاته

الى حيث لا ندري والله لحظة بها يركب المقدور ظهر حصانه

ونجري الى مجهولنا حيث ننطفي كأن لم يكن كل فريد زمانه

تطاولت يا ليلى اما آن ان ارى تباشير فجر لذتي في احتضانه ؟

يمثل الموت المرحلة الاخيرة من حياة الانسان، لذلك حمّل الشاعر الزمن مسؤولية ذلك وجعله سببا مباشرا لموت الانسان،فهو يعبر عن انفعال صادق وشعور مليء بالاسى لما اصيب به صديقه والزمن بحركته المستمرة يدفع الانسان شيـئا فشيئا الى مصـيره النهائي، وبالتالي فهو يعجل من اقتراب منيته والكلمات ((غدا، الامس، الليل)) كلها تدل على تفعيل عنصر الزمن.

المكان

للمكان اهمية لا تقل عن الزمان في القص الشعري، فتشخيص المكان هو الذي يجعل من احداثها شيء محتمل الوقوع، **اي** حدث لا يمكن ان يتصور وقوعه الا ضمن اطار زماني معين، اذ يعد عنصر مهم من عناصر السرد يبرز قيمة العمل الادبي، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالزمن والمكنونات السردية الاخرى، وعرفت بنية النص الشعري الحديث والمعاصر تعددا في الامكنة الشعرية وانفتاح الشاعر على امكنة قريبة او بعيدة ولد فيها او عاش بها او سمع عنها او

تسامع بها، فاصبح المكان لمن يبدعه لا لمن يقيم به او يملكه، فهو يعد من الصور الشائعة في العصر العربي قديما وحديثا لما يملكه من تأثير مباشر في نفس الشاعر، والذي استطاع من خلاله التعبير عن قضايا وهواجس متعددة سواء اكانت نفسية ام اجتماعية ام سياسية ام فكرية، وفي شعر طالب الحيدري يستوقفنا المكان بكل مفرداته وصوره ليشكل ظاهرة بارزة من خلال اتخاذه ابعادا جديدة ترتبط بعلاقات متعددة ومتباينة وبشكل مباشر بنفسية الشاعر وهو يحاول ابراز تلك الجوانب من خلال صوره الشعرية، معتمدا في ذلك على خياله الشعري المكون لتلك الصور.

اثرت عوامل عديدة في تشكيل رؤية الشاعر للمكان، فالتجربة الواقعية وعمق المعاناة والظروف النفسية المؤثرة في تكوين الشخصية، تداخلت في تشكيل الصورة المكانية وتلوينها.

يذكر الشاعر ((البحر)) في قصيدة ((اضرب بكل قواك)) فيقول[٢٦]:-

اني لاقرأ – والمغيب ينجلي لذوي المواهب – ما ستلقى في غد
اغرقت في بحر رهيب من دم شعبا شهرت عليه سوط السيّد
وحسبت انك كاتم انفاسه ودماؤه تغلى كنار الموقد
ان صار من ظلم مهيضا اخرسا او صار مفلول السلاح او اليد
فهو العفرني يستميت ضراوة ويهيج في الهول المقيم المقعد

اضحى البحر عند الشاعر منفذا للتهجير وقصد المنافي والاقتياد الى مصير مجهول محذرا من مغبة ركوبه، فالبحر مجهول العوالم والاعماق ومصير الشخص الذي يخاطبه الشاعر، وكذلك اذا ما ركب عبابة فيحذره لان البحر رمز للهجرة والشتات والنفس مليئة بالهوم، فجلس اليه الشاعر باقدام متعبة ونفس ثائرة اذبلتها الاحزان فضاقت به الاحلام والافكار والذكريات وامواج الحياة، نجح الشاعر في خلق علاقة بين الالفاظ ليخلق صورة فيها ايحاءات كثيرة وعميقة لتتفجر الطاقات الكامنة فيها لتعبر بصورة اعمق عن المعاني.

وفي قصيدة (البحيرة) يقول[٢٧]:-

ارانى في صحراء دنياي نقطة من الوهم غطاها من الليل وامس
وهل انا والايام ميدان معرك حصان امام الروع ام انا فارس
يطير بي العزم الحديدي صاعدا ويسقطني ارضا فضائي المعاكس
اسير ولكن لم اوفق لغاية وقد يبلغ الشأو المحلق جالس

يسرد الشاعر في قصيدته لفظة ((الصحراء)) هو المكان الواسع الذي يشكل رمز للتيه والضياع والموت والمجهول الذي سلبت حريته فيذكر المصير الذي وصل اليه كأنه لا نهاية له وامتد الافق واسعا يغيب فيه البصر ولا يغيب عن ذكرنا ان الشعر العربي نشأ في قلب صحراء وتدرج في نشأته وتطوره وازدهاره الى مرحلة نضجه في الشعر الجاهلي وكانت لصيقة بالانسان الذي تأثر بها وعبر عن مكنوناتها ازاءها ؛ كونه يمثل امتدادا واسعا في الافق الرحب.

ويذكر الشاعر الطريق في قصيدة ((المصير)) فيقول[٢٨]:-

يا قطارا بغير قصد يسير ليس يدري لاي وجه يصير
هوة بعد هوة في طريق شذ لا اول له ولا اخير
فترفق ففي جناحك شعب مستضام جناحه مكسور
فهو اما الى المهالك يهوي وهو اما الى الاعالي يطير

يخاطب الشاعر القطار الذي يسير بغير قصد وهو لا يدري لاي مكان هو ذاهب ويعبر عن الصور المزيفة التي يخدع الناس بها وسذاجة الذين اعموا ابصارهم وبصائرهم من غير ان يميزوا الحق من الباطل والمصير المجهول الذي يصل به القطار الى اللامكان فهو اما ان يكون منقذا او ان يكون خدعة وانساق وراءها الكثير من الناس وقد يكون معبرا للهروب من الذكريات الاليمة ونقطة استقبال جديد.

ويذكر الشاعر البيت في قصيدة ((مسافات وازمنة)) يقول[٢٩]:-

فتحت قلبي لكل الناس محتفيا بهم جميعا ويبقى غير موصود
وباب بيتي كتاب غير منغلق كعين عاشقة او خد معمود
على مَ اخشى ومن كانت مواقفه مواقفي فارغ الكفين كالبيد

عدَّ الشاعر البيت هو الوطن والام مفتوحا لكل المحبين ومن الامكنة والمسارات التي تجري فيها الاحداث بالقصيدة وبمثابة متنفس ونقطة وصل بينه وبين المحبين التي تبنى عليها ثنائية الانا والاخر فالشاعر في هذه القصيدة هو انسان لا يعرف الهدوء ولا تترك له مجالا للتأمل والسروج الفكري الهادئ، ويعبر عن برود الانسانية وانفصام عراها ووقعها في النفس البشرية والمحبة الممزوجة بصفة الاحتضان والرحم ويرفض ان يبقى منغلقا بصورة دائمة بل متوزع على مختلف الاماكن ومتحرك نحو امكنة اخرى على كل مستويات الحلم والذاكرة.

وفي قصيدة ((نملة)) يقول[٣٠]:-

هوى النسر جائعا وعلى ... ذلك اللحم جال كالاجـــل
قال في فرحـــة وعافيـــة ... ما احب المقام في الجبل
صور الموت والحياة معا ... في مرايا القلوب والمقل
كـــل حـــي الى منيـــتـــه ... راكـــب علـــة من العـــلل

حفلت قصائد الشاعر بالكثير من المعلومات الجغرافية عن الطرائق والمسالك وفي وصف مختلف ظواهر الطبيعة من جبال وكهوف وغيرها وقد سما الشاعر بسمو الجبال الشاهقة التي يحب النسر ان يقيم في هذا المكان الى الابد ليرسم صورة العذاب وما حل به بعد الهجران وهي حركة مكانية تتأرجح فيها النفس الانسانية بين حركة تريد استبدال هم ثقيل عليها بهم اخر تتشوق اليه.

وفي قصيدة ((حصار)) يقول[٣١]:-

"حصار" طال واستشرى اذاه ... وقد غرقت روانا في مداه
هو السجن الذي لا باب فيه ... الا شلت انامل من بناه
طليـــق فيـــه شعب قيـــدوه ... وقد هدت معاولهم قواه

يعد السجن هو احد الامكنة المانعة لحرية الفرد بابعاده الجغرافية والاجتماعية والنفسية والشاعر يشير الى معاناة الشعب العراقي من شتى انواع التعذيب والقيود في ظل الجلادين والمحتلين مصورا معاناته بالسجن بليلة الحالك وهدؤه المخيف وصمته الذي يقطعه رنين السلاسل معبرا عن حزنه مغتبطا باكتئابه يصطخب من دونه خضم الحياة فلا شيء الا الموت والصمت في الظلام، فالشاعر خائفا من القادم لانه لا يزال يواجه المهالك في شتى صورها وصاحب هذا التصور حالة من التوتر واخذ طابع الانفصال عن النفس، اذ عاش لحظات قاسية يعاني من الاغتراب ويشعر بالوحدة وتحيط به المخاوف وتنهال عليه النكبات.

وفي قصيدة ((سفر الاسفار)) يذكر الشاعر القبر فيقول[٣٢]:-

ولولا ادكارات الاحبة والهوى ... وما كان من خيري وما كان من شري
لما كان لي من سفر هو العمر ينطوي ... وافتحه ما رحت اسال عن عمري
وامس بذلك الجهد ابني لراحتي ... قصورا ولو فكرت هيأت لي قبري
نسيت كقران على الرف وانطوت ... حياتي فهل موتي يجدد لي ذكري ؟

القبر هو المكان النهائي للانسان، ومهد الميت الاخير والمعبر الى الحياة الاخرى والشاعر وظفها في قصيدته ليعبر عن حالة العجز والضعف الانساني الذي ينشغل بامور الحياة وينسى الاخرة فالتعبير جاء بانواع المعاناة والموت التي تواجهه في حياته من اليأس والمرض واستذكار الماضي الذي ساد بالشعب، حالة الاحساس بالغربة وهواجس الموت ومشاعر الانقطاع وتجسيد الحدث بعدما توحدت الذات بالموضوع.

ويذكر البستان في قصيدة ((صاحب)) فيقول[٣٣]:-

صفا هو كالسلسال عذب كالندى رقيق وكالبستان تنفح رياه

تصاغر من نبل ومن اريحية وقد عظمت في كل عين سجاياه

يرى الفضل لي فيما يقدم لاله كاني انا الساعي وقد ضعت لولاه

ولم ارَ عمري مثله طيب منبت وعزله بين الاحبة اشباه

اتسمت علاقة الشاعر بصاحبه الذي يحبه بالبستان، ووصف الشاعر الاماكن المسلية والمهلمة في آن واحد

وكان صاحبه محاط من السحر بهالة لا يمكن بلوغ المراد منها الا بشق الانفس وتسبب الشاعر صفة الانسانية لصاحبه وللتراكم الكبير للحوادث والمتغيرات التي تخزنها الذاكرة البشرية والتي تعد مفتاح الذات في تلازمها مع وحدة الزمن، فالماضي بكل ذكرياته عنصر اطمئنان، لانه يبشر بالتوافق من خلال خلق عالما جديدا بمقتضى قوانين تنبعث من اعماق النفس.

الخاتمة

حاول الشاعر طالب الحيدري في ديوانه ((مرايا)) ان يتجاوز القوالب الشعرية الجاهزة واتخاذ لغة سردية تواصلية قائمة على التأويل واستثمار بعض عناصر السرد لانجاز نص منفتح على مقومات الاجناس الادبية الاخرى بغية التعبير عن مقتضيات الفكرة والشعور وكما قدم نمطا بتدفقات شعورية تتناسب مع روح العصر بتحولاته الفنية و الفكرية.

هوامش البحث ومصادره:

١ –ابراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، ج ١، مادة (شعر)، المكتبة الإسلامية تركيا، ط١، ١٩٧٢: ٤٨٤.

٢– بنظر: البنية السردية في النص الشعري، محمد زيدان، الامل للطباعة، ٢٠٠٤: ١٤.

٣– السرد امتداد الحكاية، قراءة في نصوص جزائرية عربية معاصرة، عبد القادر سالم، اتحاد الكتاب الجزائريين، ٢٠٠٩: ١١.

٤– مقابلة شخصية مع الشاعر طالب الحيدري يوم الخميس المصادف ٢٠١٩/١٢/٥.

٥– سرد الامثال، دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية، لؤي حمزة عباس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣: ١٢٩

٦– ينظر: طرائق تحليل السرد الادبي، رولان بارت واخرون، منشورات اتحاد الكتاب ،المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢: ٢٣، وينظر الجسد في مرايا الذاكرة، منى الشرافي تيم، دار الامان، الرباط، ط١، ٢٠١٥: ٢٩٨.

٧– الديوان المرايا، طالب الحيدري، شركة مجموعة العدالة، ط١، ٢٠١١: ٣١.

٨– الديوان: ٣٤٠.

٩– الديوان: ٤٨.

١٠– الديوان: ٧٣.

١١ – الديوان: ٩٦.

١٢– الديوان: ٢٢٠.

١٣– الديوان: ٢٩٦.

١٤ – ينظر: حدس اللحظة، فاستون بشلار، تعريب: رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، ١٩٨٦: ٥٦.

١٥– الزمن النوعي واشكالية النوع السردي، هيثم الحاج علي، مؤسسة الانتشار العربي: ٢٣.

١٦- الاسطورة والدراما، سعد عبد العزيز، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦: ١٠٨.

١٧- ينظر: الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥: ١٥.

١٨- الديوان: ١١.

١٩- الديوان: ١٢.

٢٠- الديوان: ٤١.

٢١- الديوان: ٤٨.

٢٢- الديوان: ٥٧.

٢٣- الديوان: ٥٩.

٢٤- الديوان: ٥٩.

٢٥- الديوان: ٧١.

٢٦- الديوان: ١٣٧.

٢٧- الديوان: ٤٨.

٢٨- الديوان: ١٩٠.

٢٩- الديوان: ١٩٣.

٣٠- الديوان: ١٥١.

٣١- الديوان: ١٦٦.

٣٢- الديوان: ٤٦.

٣٣- الديوان: ٧٣.